# المدرسة البنائيّة الوظيفيّة وتطوّرها

## •معنى الوظيفيّة

هناك معنيان أساسيّان في علم الاجتماع لاصطلاح الوظيفة، المعنى الأوّل هو الواجبات والفعاليّات والنشاطات التي تقوم بها المنظّمة الاجتماعيّة وتشارك مشاركة فعّالة في إشباع حاجات الأفراد وتلبية طموحاتهم الذاتيّة والاجتماعيّة. فالوظائف الاجتماعيّة للمؤسّسات السياسيّة هي الواجبات التي تقوم بها المنظّمات السياسيّة، والتي من خلالها يستطيع كلّ من الفرد والمجتمع تحقيق أهدافه الأساسيّة وإنجاز وحدة وتكامل جماعاته ومنظّماته المختلفة. والوظيفة الاجتماعيّة كما يوضّحها **روبرت ميرتون** هي نتيجة موضوعيّة لظاهرة اجتماعيّة يلمسها الأفراد والجماعات، وقد تكون ظاهرة أو كامنة غير متوقّعة.

الوظيفة الظاهرة هي نتيجة موضوعيّة للنظام الذي توجد فيه، حيث تكون مقصودة ومُعترف بها من قِبل الأشخاص الذين يقومون بها، أمّا الوظيفة الكامنة فهي الوظيفة الغير متوقّعة والغير مقصودة من قِبل أعضاء المنظّمة المنفّذين. أمّا المعنى الثاني للوظيفة فيُقصد به الترابط والتكامل بين المتغيّرات (استعمال رياضي). إذن هناك علاقة مباشرة بين الوظيفة التي هي نتيجة لنظام اجتماعيّ معيّن والوظيفة التي هي ترابط بين متغيّرات مختلفة. [1]

إنّ نشأة الاتّجاه الوظيفي واتّساع نطاقه قد تأثّر إلى حدّ كبير بالاهتمام الواضح من طرف العلماء بفكرة الوظيفة، وقد تحدّدت معالمها في إطار علم الاجتماع (كنزعة سوسيولوجيّة)، غير أنّها كانت واضحة وسابقة في علم البيولوجيا وعلم النفس والانثروبولوجيا الثقافيّة، ففي علوم البيولوجيا تدور الوظيفيّة حول فكرة مُؤدّاها أنّ كلّ عضو أو جزء من نسق يُطلق عليه كائن عضوي يؤدّي وظيفة أو وظائفًا أساسيّة لبقائه، كما يؤدّي هذا العضو بدوره

---

1- إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد: **مرجع سابق**، ص164.

وظائفًا للنوع الذي ينتمي إليه باعتباره يمثّل نسقًا يتألّف من مكوّنات متناسقة ترتبط في ما بينها ارتباطًا وظيفيًّا. [2]

إذن تدرس وجهة النظر الوظيفيّة الوظيفة التي تؤدّيها عمليّة ما في حياة الفرد من جهة التركيب، أي من جهة صلة هذه الظواهر بالكائن العضويّ في جملته، ومن جهة قيمتها بالنسبة إلى تكيّفه مع البيئة الطبيعيّة أو الاجتماعيّة كمعنى اللعب بالنسبة للاعب، أي الحاجات التي تشبعها الظواهر بالنسبة إليه، وذلك عن طريق القوى الدافعة إلى السلوك. فإذا كانت مشكلة التكيّف هي المشكلة الكبرى في الحياة، يكون السؤال الوظيفي: ما هي وظيفة التفكير والانفعال والإرادة؟، فالوظيفيّة معنيّة بالإجابة عن السؤال "لماذا؟". ويُعتبر **ويليام جيمس** أبًا لعلم النفس الوظيفي، أين كان هناك التضادّ بين علم النفس الوظيفي وعلم النفس البنائي. [3]

أُستخدم مصطلح وظيفي في القرن التاسع عشر ميلادي نتيجة لظهور علماء نبيهين أمثال **أوغست كونت** و**هربرت سبنسر** اللذان شبّها مجموعة المجتمع الإنسانيّ بالكائن الحيواني من حيث أنّها تتضمّن سبب الظاهرة ووظيفتها. ولكن الاتجاهات الوظيفيّة الأولى برزت في الفترة ما بين 1920-1940م بسبب التغيّرات الجذريّة في مجالات الانثروبولوجيا الحضاريّة والاجتماعيّة، وبخاصّة في أبحاث العالم البولندي **مالينوفسكي** الذي حلّل المجتمعات البدائيّة بأسلوب آلي إلى عناصرها الأوليّة، وفسّر المؤسّسات الاجتماعيّة بالنسبة إلى علاقتها بالمؤسّسات الأخرى في المجتمع البشري الواحد. ووضّح أهمّيتها في إشباع وسدّ الحاجات الضروريّة خاصّة البيولوجيّة [4]. كما قام البريطاني **راد كليف براون** بتشبيه الحياة الاجتماعيّة بالحياة العضويّة، حيث أجرى دراسات عميقة حول التمييز بين المورفولوجيّة الاجتماعيّة التي تحلّل شبكة العلاقات الاجتماعيّة الكامنة في البناء الاجتماعي، والفيزيولوجيّة الاجتماعيّة التي تدرس جميع الظواهر الاجتماعيّة الكامنة في قطاعات المجتمع دراسة كلّيّة ترابطيّة. وفي الفترة

---

2- السيد علي شتا: **نظرية علم الاجتماع**، مؤسّسة شباب الجامعة، القاهرة-مصر، 1993م، ص297.

3- فاخر عاقل: **مدارس علم النفس**، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1977م، ص94.

4- صلاح الدين شروخ: **مدخل في علم الاجتماع -للجامعيّين-**، **مرجع سابق**، ص153.

ذاتها انصبّ الاهتمام على الفكرة المجرّدة للأنظمة الاجتماعيّة بنظرة شموليّة عامّة، معتبرة إيّاها أنظمة متّصلة ومكمّلة الواحدة منها للأخرى. وهو الطريق الذي سلكه العالم **تالكوت بارسونز** في تحليلاته الاجتماعيّة، حيث تتميّز الوظيفيّة البنائيّة حسبه بقيامها بتثبيت الحدود بين النظام الاجتماعي والأنظمة الأخرى، وكذلك بقدرتها على وضع الحدود التجريديّة والتاريخيّة بين الوحدات البنائيّة الرئيسيّة للنظام الاجتماعي، مع التأكيد على العلاقات الأخلاقيّة بين الوحدات، إضافة إلى اهتمامها المتزايد بالظروف والعوامل التي تساعد على استقرار وتكامل وفاعليّة النظام الاجتماعي المطلوب دراسته. (5)

ممّا سبق، فإنّ مفهوم الوظيفة هو مفهوم قديم في علم الاجتماع، حيث بدأ التفكير فيه مع **هربرت سبنسر** وتواصل مع **أوغست كونت** وتطوّر مع **إيميل دوركايم** ومع **سان سيمون**، كلّ هؤلاء هم ممثّلو المدرسة الوظيفيّة الفرنسيّة. وعليه فإنّ المرجعيّتين (الطبيعيّة والبيولوجيّة) قد أرستا مبدأين أساسيّين انطلقت منهما المقاربة الوظيفيّة هما: أنّ المجتمع مثل الجسم البشري كلّيّة متكاملة، وأنّ كلّ عضو من أعضاء هذا الجسم لا يمكن فهمه إلّا في إطار كلّيّة. فالاتّجاهات الوظيفيّة في مجملها تعبّر عن نموذج دراسيّ تمّ اشتقاقه عند استخدام المماثلة بين المجتمعات الإنسانيّة والكائنات البشريّة، ويرتكز على دوافع الفاعل (الإنسان) في الموقف.

## ٠التحليل البنيويّ والوظيفيّ للمجتمع

يُعَدّ مصطلح البنية الاجتماعيّة من المصطلحات الأساسيّة المستعمَلة في المدرسة الوظيفيّة البنائيّة كأهمّ مدارس علم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعيّة. حيث يستعمل علماء الانثروبولوجيا مصطلح البنية الاجتماعيّة بصورة مترادفة مع مصطلح المنظّمة الاجتماعيّة، كما شاع استعمال هذا الاصطلاح في علم الاجتماع لكن لم يكن دقيقًا ومضبوطًا من ناحية المعنى والأهمّيّة. ففي بعض الأحيان يُستعمل اصطلاح البناء الاجتماعي ليعني انتظام السلوكيّة الاجتماعيّة وذلك لتكرارها من فترة إلى أخرى مع اتّخاذها نفس النماذج والظواهر

---

5- دينكن ميتشل: **معجم علم الاجتماع**، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1981م، ص104.

الفعليّة. وأحيانًا يُستعمل هذا الاصطلاح في صورته الواسعة ليعني التنظيم الشامل للعناصر والوحدات التي يتكوّن منها المجتمع، كالمنظّمات والمؤسّسات.

ويُستعمل هذا الاصطلاح بكثرة في النظريّة البنائيّة الوظيفيّة التي تُعتبر من النظريّات الحديثة لعلم الاجتماع المعاصر. والاصطلاح يعني هنا العلاقة المتداخلة بين المراكز والأدوار الاجتماعيّة، فالتفاعل الذي يقع بين الأشخاص داخل النظام الاجتماعي، يمكن التعبير عنه من خلال المراكز والأدوار الاجتماعيّة التي يشغلونها [6]. فعندما تكون الأدوار الاجتماعيّة مدعومة من قِبل السلطة ومقبولة من قِبل الأفراد الذين يستغلّونها، تتحوّل إلى مؤسّسة اجتماعيّة لها قيادة وأحكام وقوانين معيّنة. إذن المؤسّسة الاجتماعيّة هي من التنظيمات الأساسيّة التي تساعدنا على فهم الفرد بعد فهم طبيعته وسلوكه وعلاقته مع الآخرين. لذا يمكن اعتبار الأدوار الاجتماعيّة بمثابة الوحدات البنائيّة لتكوين المؤسّسة والبناء الاجتماعي، وفي المقابل يمكن اعتبار البناء الاجتماعي بمثابة علاقات متداخلة تربط مؤسّسات المجتمع ببعضها البعض.

وعمومًا، يُقصد بالبناء الوظيفي أو البناء الاجتماعي مجموعة العلاقات الاجتماعيّة المتباينة التي تتكامل وتتّسق من خلال الأدوار الاجتماعيّة، فثمّة مجموعة من الأجزاء مرتّبة ومنسّقة تدخل في تشكيل الكلّ الاجتماعيّ وتتحدّد بالأشخاص والزمر والجماعات وما ينتج عنها من علاقات وفقًا لأدوارها الاجتماعيّة التي يرسمها لها الكلّ وهو البناء الاجتماعي [7]. وهنا يمكن تعريف البناء بأنّه مجموعة من العلاقات التي تقوم بين الوحدات، ويظلّ الكائن الحيّ محافظًا على نوع معيّن من الاستمرار في البناء كلّما كان حيًّا. [8]

إنّ البناء الاجتماعي يظلّ قائما بفضل ما يحدث في الحياة الاجتماعيّة من عمليّات، تلك العمليّات التي تتألّف من نشاط الأفراد ومن تفاعلاتهم مع بعضهم ومع الجماعات التي

---

6- إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، **مرجع سابق**، ص120،121.

7- كامل محمد عمران: **مرجع سابق**، ص70.

8- شحاتة صيام: **النظريّة الاجتماعيّة من المرحلة الكلاسيكيّة إلى ما بعد الحداثة**، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2008م، ص47.

يرتبطون بها. فالحياة الاجتماعيّة في أيّ مجتمع تعتمد على الأداء الوظيفي للبناء الاجتماعي، إذ تكون وظيفة أيّ نشاط متكرّر هي الجزء الذي يقوم به النشاط في الحياة الاجتماعيّة كلّها، ومن ثمّ فهو يساهم في بقاء الاستمرار البنائي للمجتمع الذي يعني بالطبع استمرار البناء الاجتماعي. [9]

## •البنائيّة الوظيفيّة وتحليل التنظيمات

إنّ ما كان يدفع البنائيّين الوظيفيّين للقيام بالتنظير في مجال التنظيمات هو في اعتقادهم الوصول إلى حلول للمشكلات التنظيميّة، فالنظريّة الوظيفيّة من منظور علم اجتماع التنظيم هي أحد الاتّجاهات النظريّة التي تنظر إلى التنظيم على أنّه مجموعة من البناءات الجزئيّة المتكاملة هيكليًّا ومادّيًّا من حيث وظائف وأدوار محدّدة يقوم بها كلّ فرد أو جماعة وكلّ قسم من أقسام التنظيم، بحيث أنّ أيّ خلل في ذلك يؤدّي إلى ضياع أهداف المنظّمة [10]. وقد تميّزت النظريّات البنائيّة الوظيفيّة بخصائص نوعيّة لها أبعادها التحليليّة والتصوّريّة القادرة على توضيح طبيعة التداخل بين التنظيمات. ويرجع الفضل في تطوّر وازدهار هذا الاتّجاه إلى أعمال كلّ من **بارسونز، ميرتون، جولدنر، سيلزنيك** وغيرهم.

مثّلت تحليلات **ماكس فيبر** للتنظيمات البيروقراطيّة وتأثيرها على البناءات التنظيميّة والسياسيّة نقطة الانطلاق بالنسبة للوظيفيّين، خاصّة من خلال نموذجه المثاليّ للبيروقراطيّة، كما اعتبره الكثير من الوظيفيّين إطارًا تصوّريًّا فكريًّا قدّم الكثير من الإسهامات في تحليلاتهم وأفكارهم، وذلك باعتبار أنّ النموذج المثاليّ يمثّل تعبيرًا عن نوع من الدراسات العقلانيّة. كما استفاد الوظيفيّون من تعاملهم مع أفكار **فيبر** بالنظر إلى البناءات التنظيميّة على أنّها نسق طبيعيّ اجتماعيّ يتأثّر بالعوامل الداخليّة الديناميكيّة. وهكذا كانت تحليلات **فيبر** أحد العوامل

---

9- **المرجع السابق**، ص54.

10- ناصر قاسمي: **دليل مصطلحات علم اجتماع التنظيم والعمل**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2011م، ص133.

المساهمة في وضع الفروض النظريّة التنظيميّة للوظيفيّين ومحاولة اختبارها ميدانيًّا بواسطة دراسات امبريقيّة.

لقد استخدم روّاد المدرسة البنائيّة الوظيفيّة في دراستهم للتنظيمات أداة تصوّريّة هامّة تمثّلت في التوازن الديناميّ للأنساق، واعتبروا أنّ هذا التوازن بدوره يُجَابِهُ كلّ التهديدات التي تعترضهم وتواجههم. فاعتبروا أنّ التنظيم هو نسق مفتوح يتفاعل مع البيئة باستمرار على اعتبارها مصدرًا للموارد التي يحتاجها التنظيم لأداء وظائفه. كما انطلق روّاد المدرسة البنائيّة الوظيفيّة من اعتقاد أنّ النسق الاجتماعيّ له احتياجاته الجوهريّة التي يقوم بإشباعها حتّى يستمرّ ويحافظ على كيانه في انسجام واتّساق وتوازن على الدوام، حيث تتحقّق للنسق حالة التوازن من خلال تلبية وإشباع أجزائه المختلفة لاحتياجاته. [11]

ومن **أبرز روّاد المدرسة البنائيّة الوظيفيّة**

- **هربرت سبنسر** (1820-1903م)، يتصوّر المجتمع كائنًا عضويًّا في ثلاثة عناصر: (التصوّر الكلّي للمجتمع/ علاقة الجزء بالكلّ/ التطوّر والانحلال الذي يخضع له النموذج المجتمعي وأسباب كلّ منهما). بهذا الطرح، فإنّ **سبنسر** قد وضع أسس التصوّر الوظيفي الذي أخذ عنده طابعًا بيولوجيًّا، وهو الطابع الذي اختزله **دوركايم** بعد ذلك واستبدله بطابع اجتماعي لازم الاتّجاه الوظيفي. [12] وقد لاحظ **سبنسر** عديدًا من أوجه التشابه بين الكائنات الاجتماعيّة والكائنات العضويّة كالآتي:

- يتميّز كلّ من المجتمع والكائنات العضويّة من المادّة الغير عضويّة بالنموّ الواضح خلال الشطر الأكبر من وجودها، فالرضيع ينمو حتّى يصبح طفلًا فرجلًا، والدولة تصبح امبراطوريّة.

---

11- رابح كعباش: **علم اجتماع التنظيم**، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2006م، ص156،157.

12- علي ليلة: **النظريّة الوظيفيّة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا -الرواد والقضايا-**، جامعة عين شمس، القاهرة-مصر، 2008م، ص55.

– تنمو كلّ المجتمعات والكائنات العضويّة وتتطوّر في الحجم كما تنمو في درجة تعقّدها البنائيّ.

– يؤدّي التطوّر سواء في المجتمعات أو الكائنات العضويّة إلى تباينات في البناء والوظيفة. **(13)**

كما تركّزت اهتماماته حول دراسة عمليّات التغيير وتطوّر المجتمعات الإنسانيّة، حيث تناول تطوّر المجتمع قياسًا بتطوّر الكائنات الحيّة، فالمجتمع الإنسانيّ قد تطوّر من الأشكال البسيطة إلى أشكال أكثر تعقيدًا، ومن أشكال على درجة متدنّية من التباين البنائي وتقسيم العمل إلى مجتمعات معقّدة البناء تقوم على التخصّص.

وعمومًا، كان **سبنسر** السبّاق في وضع بعض أسس نظريّة التطوّر (وقد استفاد **داروين** من هذه الأفكار)، كما آمن بقوانين الطبيعة وبأنّها جاءت لغاية أساسها التخلّص من الضعفاء واستمرار الأقوياء مثلما ينعكس ذلك في مبدأ الصراع والبقاء للأصلح. فكانت أفكاره أساسًا للنظريّة الداروينيّة الاجتماعيّة. **(14)**

ولتبسيط فكرة الوظيفيّة نستعين بالأفكار التي حدّدها **سبنسر** والتي وجدت استمراريّتها في الأفكار الوظيفيّة المعاصرة المتمثّلة في محاولته تطبيق قوانين البيولوجيا وقوانين التطوّر التي وضعها هذا العلم على المجتمع، واقترح صيغة فريدة وهي التكامل والتمايز أو التغاير مع تجنّبه للفكرة الجبريّة، واعترف بفكرة التحلّل الغير متشابه، كما وضّح بأنّ التطوّر هو بحث دائم عن توازن جديد وأنّ المجتمع ما هو إلّا كلّ عضويّ، وأنّ الرابطة بين الأجزاء المشكّلة للكلّ تتشكّل من إسهامات تلك الأجزاء. (15)

---

13– مصطفى بوجلال: **مرجع سابق**، ص107.

14– إبراهيم عثمان: **مرجع سابق**، ص20،21.

15– أحمد القصير: **منهجية علم الاجتماع بين الوظيفية والماركسيّة والبنيويّة**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة– مصر، 1985م، ص111.

• **إيميل دوركايم** (1858–1917م)، ارتبطت الوظيفيّة بشكل دقيق بأعماله التي طرحت التفسير الوظيفيّ، وفي بداياته الأولى التصق **دوركايم** بالنظريّة العضويّة التي أخذها عن **هربرت سبنسر** الذي كان يُماثل أو يناظر بين الإنسان والكائن الحيّ، وبذلك يعدّ أوّل من قام بصياغة منهجيّة لهذه المماثلة وفقًا لمعيار الوظيفيّة، حيث يرى أنّ الحياة الاجتماعيّة تعدّ التعبير الوظيفي للبناء الاجتماعيّ [16]. فتأثيرات **سبنسر** في الوظيفيّة تجد امتدادها عند **دوركايم** في الكثير من أبحاثه، مثل "تقسيم العمل الاجتماعيّ" و"الإشكال الأوّلي للحياة الدينيّة". لقد حاول **دوركايم** أن يُفرغ المماثلة العضويّة من محتواها البيولوجيّ ويُكسبها معنى اجتماعيّ، وهو بذلك يتبنّى فكرة أن يكون الكلّ ناتجًا عن أجزائه كما يقول **سبنسر**، ويرى أنّ الكلّ يخلق أجزاءه، بحيث تفوق هذه الأجزاء مكوّناته، وأنّ هذه المكوّنات لها حاجات وإشباعات محدّدة. ويحدّد **دوركايم** معالم الوظيفيّة وِفقًا لما يلي:

- رؤية المجتمع أنّه نسق أو وحدة كلّيّة تتألّف من مجموعة من الوحدات المرتبطة مع بعضها البعض.
- يسعى المجتمع بشكل عامّ باعتباره نسقًا إلى إيجاد حالة من التوازن العامّ.
- ثمّة وجود واقعي وتصوّري للمجتمع، وأنّ هناك اتّفاق عامّ على القيم والمعايير من جانب أعضاء المجتمع.
- أنّ الاتّفاق على القيم والمعايير بين أفراد المجتمع يمثّل الهدف النهائي للنظام العامّ.
- أنّ تحليل البناء الاجتماعي وما يحويه من نُظم وجماعات وفئات اجتماعيّة ينبغي أن يتمّ في إطار تحقيق استمراريّة المجتمع وكذا في إطار نموّه التطوّريّ. [17]

إنّ **إيميل دوركايم** يميل إلى جعل مفهوم الوظيفة مفهومًا نسبيًّا خاليًا من الحتميّة، فإذا لم يكن من الضروريّ اعتبار كلّ وظيفة تعبيرًا عن حاجة الجسم، فليس من الضروريّ أن تكون لكلّ حاجة وظيفة في الجسم.

---

16- شحاتة صيام: **مرجع سابق**، ص90.

17- **المرجع السابق**، ص49.

• **راد كليف براون** (1881–1955م)، عالم إيطالي انثروبولوجي اجتماعي، زاول دراسته في جامعة كمبريدج أين كان أستاذًا بها، تأثّرت أفكاره وآراؤه بكتابات **أوغست كونت** و**إيميل دوركايم**، وهو ما جعله يبرز في حقل علم الاجتماع المقارن الذي يستنتج المبادئ الأساسيّة المفسّرة للعلاقات الاجتماعيّة ليتمّ توظيفها في دراسته للأنظمة الاجتماعيّة المختلفة ودراساته المقارنة. [18]

تعني الوظيفيّة عنده النظر إلى الحياة الاجتماعيّة باعتبارها كلًّا اجتماعيًّا، فهي تشكّل وحدة كلّيّة وظيفيّة، وبالمفهوم المعاصر فالوظيفيّة تشير إلى أنّ المجتمع هو نسق، والنسق هو أداة تصوّريّة تحدّد علاقات المجتمع في إطار الكلّ بمجموعة من المبادئ التنظيميّة التي تستند إلى التساند الوظيفي والتفاعل بين أجزاء النسق وبعضها البعض [19]. لذلك فإنّ نظريّة **راد كليف براون** تُشبه في خصائصها نظريّة **دوركايم** ومدخلًا في دراسة الظواهر الاجتماعيّة الثقافيّة، إضافة إلى شروط التماسك والتضامن الاجتماعي، حيث شكّل هذا المدخل أساس الافتراض البنائي الوظيفي الذي يؤكّد مضمونه على الأنساق الاجتماعيّة التي تحافظ على بقائها لفترات طويلة في حالة الثبات ولتوفّرها على درجة عالية من التماسك والتضامن، وهذا ما يؤكّد لنا مدى إيمانه بالبناء الاجتماعي كوجود موضوعي منفصل عن الوجود الفردي (فهو يعترض حول استخدام المماثلة العضويّة بين ما هو اجتماعي وبيولوجي)، لذلك نجده يعتقد بأنّ الأداء الوظيفي هو ذلك الإسهام الذي يؤدّيه النظام في دعم البناء الاجتماعي. [20]

• **تالكوت بارسونز** (1902–1979م)، شغوف بالتنظير والتأويل وصياغة المفاهيم وتنظيم الأفكار السابقة والتأليف والتركيب، عمل على تطبيق نظريّته حول النسق الاجتماعي في دراسة التنظيمات من خلال المساهمة التي قدّمها في مقالة له بعنوان "مقترحات لأجل

---

18- Joseph Sumpf et Michel Hugues : **Dictionnaire de sociologie**, Librairie Larousse, Paris, 1978, p191.

19- شحاتة صيام: **مرجع سابق**، ص47.

20- علي ليلة: **مرجع سابق**، ص41.

منظور سوسيولوجي لنظريّة التنظيمات"، حيث اعتبر التنظيم نسقًا مفتوحًا، بمعنى أنّ التنظيم والبيئة هما مسلّمتان.

يرى **بارسونز** أنّ البناء الاجتماعي هو الذي يسهّل دراسة وفهم التنظيم، ولتحقيق أيّ هدف يمكن النظر إلى العلاقة القائمة بين التنظيم كنسق وبين جوانب الوضع الخارجي الذي يشتغل فيه هذا التنظيم على المستوى الخارجي [21]. وبهذا يعدّ **بارسونز** من أحد ممثّلي التحليل الوظيفي البنيوي الأساسيّين في علم الاجتماع من خلال مؤلّفاته "بنية الفعل الاجتماعي 1937م" و"المنظومة الاجتماعيّة 1952م"، وهو أشهر عالم اجتماعيّ وظيفي في الولايات المتّحدة الأمريكيّة والعالم الغربي.

إنّ أكبر مساهمة جاء بها **بارسونز** في علم الاجتماع هي تركيزه على التحليل السوسيولوجي في المجتمع ككلّ، واهتمام الوظيفيّة لدى **بارسونز** بالنظام الاجتماعي جعلها تنظر إلى ذاتها باعتبارها تهتمّ بالحاجات المشتركة لكلّ مكوّنات المجتمع الحديث. [22]

اهتمّ **بارسونز** بالمجال الثقافيّ النظاميّ من خلال تبنّيه نسق القيم الذي يوضّح وظائف التنظيم، ويحدّد الأنماط النظاميّة الضروريّة التي تعبّر عن هذه القيم ضمن أطرها الوظيفيّة من أجل تحقيق الهدف والمواءمة مع الموقف وتكامل النسق، وبما أنّ **بارسونز** يعتبر التنظيم أنه نسق فرعي يتفرّع من نسق اجتماعيّ أوسع وأشمل، فمنطقيّ أن يكون نسق القيم مقبولا في التنظيم ويتّسم بالشرعيّة، بسبب تواجد قيم عامّة لنسق الوظائف أو المناصب العليا في المجتمع. ويستخدم **بارسونز** نسق القيم كنقطة مرجعيّة أساسيّة في تحليله للبناءات التنظيميّة، من خلال:

- متطلّبات المواءمة والتكيّف في التنظيم المرتبطة بتوفير الموارد الضروريّة لتحقيق أهداف التنظيم.

---

21- رابح كعباش: **مرجع سابق**، ص158.

22- أحمد سليمان أبو زيد: **نظريّة علم الاجتماع -رؤية نقديّة راديكاليّة-**، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة-مصر، 2006م، ص220.

- الإجراءات النظاميّة الضروريّة التي يتّخذها التنظيم من أجل توفير الموارد في العمليّات الخاصّة لتحقيق الهدف.
- توفّر أنماط نظاميّة تعمل على تحديد وتنظيم الالتزامات داخل التنظيم في حالة مقارنته بتنظيمات أخرى تتمتّع بنفس المواصفات التي يمكن تعميمها على نطاق واسع في المجتمع. (23)

ومن أجل المحافظة على التعاون واستمراره، يرى **بارسونز** أنّه على إدارة التنظيم أن تلجأ إلى تقديم المكافآت على الأداء الجيّد كحوافز، أو توقيع الجزاءات لمن لا يتعاون، أو تسخير آليات علاجيّة بتوفير مجموعة من الإجراءات يمكن من خلالها القضاء على العوائق التي تعترض التعاون.

إنّ علماء الاجتماع الوظيفيّين الذي ساروا على خُطَا **بارسونز**، جعلوا من الاستقرار الاجتماعيّ الهدف النهائيّ للتحليل السوسيولوجيّ، وهذا يعني أنّهم يركّزون في المقام الأوّل على الظروف التي تؤدّي إلى علاقات اجتماعيّة مترابطة وإلى الإدماج السريع والسهل للعديد من الأجزاء المفصولة في المجتمع وترتيبها في وحدة مترابطة. كما أنّ رؤيته للمجتمع كنسق وتصوّره له بأنّه عبارة عن وحدة كلّيّة تضطلع بدورها الوظيفيّ، فهذا يعني أنّ هناك مجموعة من الأنساق الفرعيّة المكوّنة لهذا المجتمع تعمل على مواجهة المستلزمات الوظيفيّة الآتية:

- التكيّف، ويضطلع به النسق الاقتصاديّ الفرعيّ.
- تحقيق الهدف، ويقوم به النسق السياسيّ الفرعيّ.
- التكامل، ويعمل على تحقيق الروابط الاجتماعيّة القائمة.
- المحافظة على النمط أو خفض التوتّر، ويكون من نصيب المؤسّسات الثقافيّة ومؤسّسات التنشئة الاجتماعيّة. (24)

---

23- سعد مرسي بدر: **الإيديولوجيا ونظريّة التنظيم**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية-مصر، 2000م، ص230.

24- شحاتة صيام: **مرجع سابق**، ص58.

•**روبرت ميرتون** (1910–2003م)، عالم اجتماعيّ أمريكيّ وُلد في جنوبيّ فيلادلفيا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة لعائلة يهوديّة من أصل أوربي، ارتبط منذ صغره بالموسيقى والحياة الثقافيّة وتوجّه نحو الفنون، حصل على الدكتوراه عام 1936م من جامعة هارفارد وأصبح واحدًا من أعضاء الهيئة التدريسيّة فيها، كما عمل في جامعة كولمبيا وأصبح أستاذا فيها عام 1947م. [25]

يُعتبر مقاله "*Toward the codification of Functional analyses in Sociology* " أهمّ ما كتب فيه من نقد للبنائيّة الوظيفيّة، وذلك من خلال ثلاث مسلّمات يتّصف بها التحليل الوظيفيّ وهي:

- الوحدة الوظيفيّة للمجتمع، بمعنى أنّ أجزاء النسق الاجتماعيّ تتمتّع بدرجة عالية من التكامل في المجتمعات البدائيّة الصغيرة دون المجتمعات الكبيرة المعقّدة، لذا ينبغي عدم تعميم هذه المسلّمة.
- الوظيفيّة الشاملة، بمعنى أنّ كلّ الأشكال والبُنى الثقافيّة والاجتماعيّة في المجتمع تقوم بوظائف إيجابيّة، وهذا قد يكون مخالفًا للواقع الاجتماعيّ.
- ضرورة وجود الأجزاء، بمعنى أنّ الأجزاء المكوّنة للمجتمع لا تقوم بوظائف إيجابيّة فحسب، بل هي تمثّل عناصرًا ضروريّة لعمل المجتمع ككلّ. وهذا يعني أنّ البُنى الاجتماعيّة والوظائف ضروريّة لمسيرة المجتمع الطبيعيّة. [26]

ويصنّف **ميرتون** الوظائف على أساس تقسيمها في المجتمع إلى نوعين: الوظائف الظاهرة وهي التي ترمي إلى تحقيقها التنظيمات الاجتماعيّة، والوظائف الغير ظاهرة وهي التي لا تأخذ التنظيمات الاجتماعيّة بالحسبان.

ولقد اختلف **ميرتون** مع أستاذه **بارسونز** في عدم التركيز على النسق، ويبرز ذلك من خلال تصميم نموذجه في التحليل الوظيفي، ففيه لا ينطلق من تحليل الأنساق الاجتماعيّة

---

25– محمود أبو زيد: **مرجع سابق**، ص144.

26– سعاد عطا فرج: **مرجع سابق**، ص243.

ولكنّه يبدأ بتحليل الوحدات التي تأخذ شكلًا معقّدًا مثل الأدوار الاجتماعيّة، الأنماط التنظيميّة، العمليّات الاجتماعيّة والأنماط الثقافيّة. ويرى **ميرتون** أنّ التغيّرات التي تطرأ على شخصيّة أعضاء التنظيم تنتج من قِبل عوامل مختلفة داخل البناء التنظيميّ. (27)

كما قدّم **ميرتون** إطارًا تصوّريًّا وضّح فيه أنّ النظام الذي يتطلّبه السلوك المقنّن في التنظيم يساعد على استبدال الأهداف، ممّا يكوّن فجوة في التعامل بين أعضاء التنظيم والمتعاملين من خارج التنظيم، وبذلك فقد ارتكز الإطار التصوّري الذي قدّمه **ميرتون** على ثلاث نقاط: جمود السلوك، صعوبة التكيّف مع مهامّ الوظيفة وإمكانيّة نشوء الصراع بين أعضاء التنظيم (28). وهي نقاط تفرض بطبيعتها درجة معيّنة من الضبط والموازنة، وهكذا تظهر المعوّقات الوظيفيّة من خلال عمليّة استبدال الأهداف.

إنّ الانتقاد الموجّه لروّاد المدرسة البنائيّة الوظيفيّة حول أنّهم لم يهتمّوا بعمليّة التغيّر وتركيزهم فقط على الاستقرار في المجتمع، بالرغم من أنّ التغيّر هو جزء من طبيعة المجتمع، فهُم لم يحاولوا تفسير أسباب تغيّر المجتمعات. فهذه الحركة تعبّر عن جدل داخل هذا الاتّجاه، فقد تميّز التصوّر العضوي الوظيفي الذي قدّمه **هربرت سبنسر** بالطابع البيولوجي من ناحية والفرديّ من ناحية أخرى، وكذا الأمر بالنسبة إلى **دوركايم** الذي قام بتجريد التصوّر العضوي لـ**هربرت سبنسر** وفصله من جذوره الفرديّة والبيولوجيّة وأضفاه على المجتمع الذي رأى أنّ تكامل أنساقه ونُظمه يجعل منه كلًّا عضويًّا، هذا الكلّ هو الذي يتولّى صياغة أفراده على هيئته وهويّته، وبذلك قلّب المعادلة فجعل المجتمع قاعدة للفرد ومَنبتًا لجذوره. (29)

وعمومًا فإنّ المدرسة البنائيّة الوظيفيّة تشكّل نظريّة جزئيّة إذا ما تمّت مقارنتها بالمدرسة الماركسيّة التي تقدّم نظرة شاملة للمجتمع، ففكرة أنّ المجتمع مثل الجسم البشري كلّيّة متكاملة، وأنّ كلّ عضو من أعضاء هذا الجسم لا يمكن فهمه إلّا في إطار كلّيّة تهدف إلى تحديد مفهوم

---

27- السيد الحسيني: **النظريّة الاجتماعيّة ودراسة التنظيم**، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1981م، ص80.

28- السيد الحسيني: **مرجع سابق**، ص83.

29- مصطفى بوجلال: **مرجع سابق**، ص124.

البناء الوظيفيّ أو البناء الاجتماعيّ وفي أنّه يتمثّل في مجموعة العلاقات الاجتماعيّة المتباينة التي تتكامل وتتناسق من خلال الأدوار الاجتماعيّة التي يرسمها لها الكلّ وهو البناء الاجتماعيّ.